قصّة ١٤ شباط وارتباطها بدماء القديس فالنتين

الحبّ والمحبّة مفهومان يتقاطعان في جانب فقط لتكون المحبّة أعمق مستوى من الحبّ

كيوبيد رمز الحب الأبدي

عامر فؤاد عامر

شبح اللون الأحمر يغطي مساحات متجددة من شوارع الشام؛ ولكنّ هذه المرّة ليست بسبب أخبار السياسة ونشرات الأخبار، هذه المرّة احتفاء بيوم الحبّ أو يوم القديس فالنتين، وهو عيد سنوي اعتادته الناس في ١٤ من شباط من كل عام، ليتبادل فيه كلّ حبيبين وردة حمراء كتعبير عن الحبّ العميق بينهما. فخلف هذا المعنى معان أخرى، وبعد هذا المعنى تفصيلات كثيرة.

الألفة والآلاف

في تراثنا الأدبي كتابٌ يُعرّف الحبّ، ويغوص في جذر الكلمة، إنه كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف» لمؤلفه ابن حزم الأندلسي، وفي ماهية الحبّ يذكر: «بأن أوله هزلٌ وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة. وليس بمنكرٍ في الديانة ولا بمحظورٍ في الشريعة، إذ إن القلوب بيد الله عزّ وجلّ». هذا التعريف ينقل لنا باختصار آلاف الروايات التي تنهض وتنتهي بين البشر أينما عاشوا وأينما كانوا، لكن في حضارة اليوم تمّ تكريس الحبّ في يوم واحد من السنة كتكريمٍ له، على الرغم من أن مفهوم الحبّ لا يمكن له أن يرتبط بيومٍ من دون غيره!

علاقات حميمة

السيد «محمود مسعدة أبو ماهر» صاحب مشغل لهدايا عيد الحبّ، يقول: «لقد أحببت هذه المناسبة لأنّها تُدخل السرور والفرح إلى قلوب الناس، وعندما أراهم راغبين في شراء الهدايا مع ابتساماتهم العريضة؛ فعندها أكون قد حققت غايتي من وجود هذا المشغل، وعندما سألته عن أهمية هذا العيد في السنوات السابقة أجاب: في السابق لم يكن هذا العيد مهمّاً كما اليوم، وربما وضوحه بيننا بدأ منذ أكثر من ١٢ سنة تقريباً، واليوم أصبح مفهومه أكبر من اقتصاره على حبيبين يقدّمان لبعضهما الهدايا بل أصبح هذا العيد يمثّل العلاقات الحميمة بين الأهل، والجيران، والأقارب، والإخوة، والطلاب... وغيرهم، فهكذا هو مجتمعنا».

رمز الدّماء

لقد قدست الحضارات منذ أقدم العصور الحبّ واعتبرته أرقى مشاعر الإنسان، وبعودة سريعة إلى تلك الأزمنة البعيدة سنعلم بأن طقوساً وتقاليد كانت تُمارس ضمن احتفالات أو كرنفالات أو ما يشابه ذلك، تكريماً للحبّ ورَغبةً منهم في استمراريته خلال أيامهم المقبلة.

إضافة إلى شكرٍ للآلهة وتقديم الأضاحي حتى تبارك لهم مشاعر الحبّ وتطيل مكوثه في قلوب الجميع، وما يفاجئنا أكثر هو أن الأغلبيّة العظمى من شعوب الحضارات القديمة كانت تربط وجود الدماء كرمزٍ أساسي في وجود مشاعر الحبّ واستمرارها بينهم، فقد أوجدوا طقوساً خاصّة يقومون خلالها بشرب الدماء أو وضع قطرات منه في كؤوس الشراب وتوزيعها على الحضّور... ويبدو أن هذه التقاليد القديمة هي التي مهدت اليوم لربط اللون الأحمر بمشاعر الحبّ ولتخصيص يوم في السنة نحتفل فيه بالحبّ.

وردة لمعلمتي

«تيم» طفل في السابعة من عمره، لفت انتباهي في حمله لباقة صغيرة من الورود الحمراء في مول «شام سيتي سنتر» ولدى استفساري عن مجموعة الورود هذه كانت إجابته: «اشتريتها من البائع في يوم العطلة لأصطحبها معي إلى المدرسة وسأقدمها لمعلمتي، فأنا أحبها وأشعر بالتقدير الدائم لها، وفي كلّ مناسبة وعيد أفضل أن أقدّم لها هدية تليق بها».

القديس الشهيد

قد لا يعلم بعضنا بأن ارتباط يوم (valantin) جاء بعد مأساة ومعاناة حصلت مع القديس فالنتين الذي تمّت إراقة دمائه في يوم ١٤ شباط، وتخليداً لذكراه عمد أهل منطقته إلى الاحتفال بذكراه في كلّ عام، ولكن بعيداً عن الأحزان والآلام، وهكذا انتشرت الفكرة من بلد إلى آخر، فهذا العيد لم يأت إلا بعد معاناة اصطبغت بالدّم وباللون الأحمر الصافي، والبعض بات يسمي هذا القديس بشهيد الحبّ.

ارتباط

«سماهر» شابّة بلغت الـ«سبعة عشر» عاماً من العمر، مرتبطة بأحمد الذي يقاربها السنّ أيضاً، تقول لنا: «أجمل ما حصل معي في حياتي هو لقائي بأحمد فأنا أشعر بأن حياتي كلّها كامنة في لقائي به، وأتمنى أن نعيش معاً في الحياة المستقبليّة، ونبني أسرتنا وبيتنا يداً بيد، وفي يوم الفالنتين أحضر له مفاجأة كبيرة ما بين الزهور الحمراء وقالب من الكيك ومعطف من الصوف الأحمر».

معاناة

«ماجد» موظف في إحدى المؤسسات الحكوميّة شارف على بلوغ الـ٣٦ عاماً، لديه زوجة وطفلان، وعن معنى هذا العيد بالنسبة له يشرح: «لا أميل إلى هذا التقليد السنوي الذي أجده مفروضاً علينا بطريقة أو بأخرى، لكن زوجتي ستفرح بالتأكيد إذا وجدتني أحمل وردة حمراء في أمسية يوم الفالنتين، لكن هذا قد يتبع كثيراً من الترتيبات من سهرة واحتفال وموعد وحجز في مطعم ما.

كلّ ذلك سيرهقني ولاسيما أن ظروف البلد لا تسمح لنا بالاحتفال كما يجب فلن أتمكن من التصرف بحريّة وأن أجد وجوهاً عابسة تذكرني بما حصل من مصاعب أرهقتنا على مدى ٥ سنوات من الأزمة والحرب على سورية».

تذكرنا أساطير القدماء بالكثير من رموز المحبّة العالية التي ترتقي بالمستوى العاطفي البشري إلى مستوى سماوي أعلى ليصبح الاسم «المحبّة» فـ«كيوبيد» كان على مهمة عاجلة من السماء يراقب فيها كلّ متنازعين في العواطف ليرمي بسهمه إلى قلبيهما فيؤلف بينهما من جديد، والحكيم «شيفا» في الهند كان يرفع من مستوى المرأة دائماً فيجلس حبيبته على ظهر البقرة، ويسير بالقرب منها كنوع من التقديس والإجلال لمعنى المحبّة الكوني.

هناك فرق واضح بين المستويين ونقصد مستوى الحبّ ومستوى المحبّة فالمستوى الأخير يحمل سموّاً أكبر في المعنى ويحمل حالة من التضحية والعلاقة الروحانية التي تجمع بين الكائن والخالق.

فالمحبّة السامية هي لغة الكون وارتباط الموجودات بخالقها ومانحها الوجود، وهذا المعنى العميق نجده مفصلاً في لغتنا العربيّة أكثر من غيرها من لغات العالم التي تخلط شعوبها بين مفهومي الحبّ والمحبّة فهل سيأتي اليوم الذي سيكون للمحبّة عيدها أيضاً في حياتنا؟

> الفالنتين بقعة من أحمر جديدٍ مختلف تصطبغ بها دمشق

يامن فيومي لـ«الوطن»: تعلّقت بأفلام السينما لأدرس في «تياترو» ومنه إلى ساحة العمل

مع حلا رجب في «عناية مشددة»

عامر فؤاد عامر

انجذب «يامن فيومي» للصورة في أفلام السينما بدايةً؛ فكان كثير التعلّق بها، ومع مرور الوقت تشكّلت لديه القناعة بأن دراسة الفنّ أكاديمياً هي المساحة التي تليق به، ولا بدّ له من ارتيادها، فكان نصيبه ارتياد معهد «تياترو» للفنون والأداء المسرحي، ليتخرج فيه العام ٢٠١٠ وكانت فصول الدراسة موزّعةً بين عدد من أساتذة الفنّ المسرحي والتمثيلي في سوّرية: «فؤاد حسن»، و«منصور السلطي»، و«فايز قزق»، و«أمل عمران» التي كان معها مشروع تخرجه في الارتجال «عن الملك هو الملكسس» وهو عن نص للمسرحي «سعد الله ونوس».

المرّة الأولى التي يقف فيها أمام الكاميرا كانت مع المخرج «المثنى صبح» في مسلسل «القعقاع» في العام ٢٠١٠، وكانت الشخصيّة الأولى التي جسّدها قائداً عسكرياً لأحد الجيوش، ثم تتالت الأدوار لديه ليكون مع المخرجة «إيناس حقّي» في مسلسل «أبو خليل القباني»، ومع «المثنى صبح» من جديد في مسلسل «جلسات نسائية» وشخصيّة «كريم»، وأيضاً معه في مسلسل «رقّة عين».

ومن التجارب التي خاضها الفنان «يامن فيومي» أيضاً كانت في مسلسل «في حضرة الغياب» مع المخرج «نجدة أنزور»، ومع المخرج «عامر فهد» في سلسلة «بقعة ضوء» الجزء التاسع، وأيضاً مع المخرج «أحمد إبراهيم أحمد» في مسلسله «زمن البرغوث» الجزء الثاني، وأيضاً تكررت التجربة مع الأخير من جديد في مسلسل «نساء من هذا الزمن»، مع «محمد زهير رجب» في مسلسل «طوق البنات» الجزء الأول، وفي التجارب الأخيرة كان له نصيبه في العمل في المسلسل الشامي «الغربال» في الجزء الثاني منه مع المخرج «مروان بركات»، وفي مسلسل «عناية مشددة» و«أحمد إبراهيم أحمد» من جديد، وفي «بقعة ضوء» الجزء الحادي عشر» والمخرج «سيف الشيخ نجيب».

> أعتقد أن طريقة التدريس في المعهد العالي والمعاهد الخاصة متشابهة جداً، فحتى أسماء الأساتذة كانت ذاتها

في ميدان السينما للفنان «يامن فيومي» تجربتان مع المخرج «جود سعيد» وهما فيلم «مطر حمص» وفيلم «رجل وثلاثة أيام» أمّا في تجربة الأفلام القصيرة فشارك أيضاً في فيلم «الرجل الذي صنع فيلماً» الذي أخرجه «أحمد إبراهيم أحمد».

في المسرح كانت التجربة الأولى عام ٢٠٠٧ مع المخرج «أسامة حلال» في مسرحيّة «جثة على الرصيف» للمسرحي «سعدالله ونوس»، التي تمّ عرضها في «دمشق» وفي «حصين البحر»، والتجربة الثانية جاءت في العام التالي ٢٠٠٨ والتي خاضها كمساعد مخرج مع «أسامة حلال» أيضاً في عرض بعنوان «إذاعة كلنا سوا» والذي تمّ تقديمه في دار الأوبرا السوريّة.

الفنان «يامن فيومي» ولدى سؤالي له عن الفرق بين الدراسة في معهد خاصّ والدراسة في المعهد العالي للفنون المسرحيّة، والتي لامسها من خلال تجربته؛ كانت إجابته: «أعتقد أن طريقة التدريس في كليهما متشابهة جداً، فحتى أسماء الأساتذة كانت ذاتها، ولكن المعهد العالي للفنون المسرحيّة تابع لوزارة الثقافة أي إنه جهة حكوميّة، وفي الوسط الفني والمهني يتمّ الاعتراف به فقط، لكن هذا كان في البدايات أمّا مؤخراً فبدأت الأمور تختلف فقد اتجهت وزارة الثقافة للاهتمام بخريجي المعاهد الخاصّة وبدأت تدعم المشروع الخاصّ في ميدان الأكاديميّة الفنيّة الخاصّة كتياترو، وأيضاً أودّ أن أذكر أنّني من الدفعة الأولى التي اعترفت فيها نقابة الفنانين من المتخرجين في المعهد الخاصّ تياترو».

أنجز الفنان «يامن فيومي» أدواره الجديدة التي ستعرض في الموسم الرمضاني القادم ومنها مسلسل «صدر الباز» للمخرج «تامر اسحاق» في شخصيّة «سعيد»، ومسلسل «عطر الشام» في جزأيه الأول والثاني للمخرج «محمد زهير رجب» وفيه يجسّد شخصيّة «دعدوش» القاتل الذي يثير الرعب في الحارة، وهو اليوم يصوّر في اللوحات الكوميديّة مع المخرج «سيف الشيخ نجيب» وسلسلة «بقعة ضوء» الجديدة.

هل يغير الزمن من مواصفات الحب؟

حب واحد رغم اختلاف ساعة الزمن في قلوب هشة غيرت إيقاع النبض

سوسن صيداوي

هل تغيرت الدنيا وتغير معها الحال، لماذا الكل مصر على أن الماضي بما فيه وبكليته كان أجمل وبأن الحب فيه كان أرقى والمشاعر كانت صادقة وحتى كما تقولون بأن الأشواق كانت فيه حارة متأججة دائماً ولا يمكن لأشد العواصف أو أعظم السيول بأن تطفئها، حتى الأشعار كانت مختلفة والأغاني والألحان كانت كذلك.

ما السر بعمق الحب في ذلك الزمن وما السر بأنه يحظى بالمقارنة الدائمة مع التأييد الواضح والصريح بأن الماضي هو الأجمل، ولكن السؤال: نحن في يوم من الأيام سنكون ماضياً مضى فهل سنكون الأفضل من المستقبل اللاحق لنا، هذا أمر يخفيه الزمن كما ستبرهنه الحياة بكل تفاصيلها وببساطتها وتعقيدها وبمظاهرها، ولكن ما دفعني إلى قول هذا هو كيف سيكون الحب بالمستقبل فنحن نمتطي ركب السرعة بالتكنولوجيا وأصبح بمتناولنا كل شي وبإمكاننا فعل كل شيء، فالشبكة العنكبوتية وشبكات التواصل الاجتماعي حجّمت البعد وقلصته إلى حدود هي الأقرب لنا ومنا، وها أنذا أعرف بكل تفاصيل حياة أصدقائي وأحبائي حتى لو كانوا بآخر الكرة الأرضية، وما من داع للانتظار أو حتى لينفد صبري أو أكون مثل ليلى أو غيرها من الحبيبات الماضيات بمصارعة الشوق ومناجاة الحبيب في الليالي الصيفية الحارة ذات القمر الساطع أو حتى الثلجية القاسية البرودة، لأنه وببساطة شديدة أصبح الحبيب بالمتناول سواء أكان بالرسائل أو حتى بسماع الصوت أو أيضاً بالصورة عبر الكاميرا وبمجرد الاتصال.

هذا شيء جميل وأنا لا أنتقده على العكس سأكون سعيدة في حياتي، لقد أصبح كل شي أسهل فما من داع للانتظار ولا حتى هناك حاجة إلى سهر الليالي، هنا توقفت قليلاً فالتفكير أصبح متناقضاً، ومن قال: إن الحب صار أسهل وبأنه لا داع للسهر أو التفكير بالانتظار، فالحب هو حب أينما كان وفي أي زمان، وحتى لو توافرت لدي بالمستقبل طائرة بدلاً من السيارة أو سيارة طائرة أو عائمة وكل ما هو لتسهيل حضوري مع الحبيب أو حتى لتواصلي معه فالشوق سيبقى وسترافقه الغيرة مع القلق والانتظار الطويل المزوج بتعب أرق السهر، لأنه وببساطة شديدة هذه هي التركيبة السحرية للحب فمن غير تلك العناصر لن يكون هناك حب.

الحب ليس فرحاً ولا حتى لعباً وليس هو بالضحك والمزاح ولا يعرف الحب الكلام المعسول ولا يكسبه الصبغة الحبيّة الالتزام بالحبيب وملاحقته على مدار الساعة والدقائق وحتى الثواني بحجة مشاركته تفاصيل حياته، يقولون: الحب مذاقه حلو كالسكر وهو جدّ مستساغ ولو كان يباع أو يشترى لوجدت الناس واقفة بالطوابير لشراء جرعات منه، على الرغم من أن النشرة التفصيلية له بالمكونات وما يتبعها من التأثيرات السلبية، وطبعاً من بعض أعراضها بأنه ممكن أن يرافق جرعة الحب وجع ناتج عن الخذلان.

كما يمكن لمتناول الجرعة أن يشعر بأن هناك شعوراً خانقاً يعصر قلبه ويقطعه إلى أجزاء ستحتاج زمناً طويلاً عن تناول الجرعة لترميمها وأيضاً هناك من التأثيرات السلبية لهذه الجرعة بأنه يترافق معها ضغوطات نفسية وعقلية سيصعب على من هم من ذوي الإحساس المرهف والحس الكبير بالرومانسية تجاوزها بسهولة ومتابعة حياتهم وكأن شيئاً لم يحصل، إذاً ما العيب في الحب وما العيب فيه في زمننا هل نحن الذين أكثرنا منه أم إننا بخلنا على أنفسنا بروعة حقيقته واكتفينا بما هو مصدّر لنا من الخارج، وهل نحن الذين تغيرنا أم الحياة هي التي تأبى أن تبقى على حالها وربما معها إرادتنا التي تلهث مجتهدة وراء الحب وعندما تصل إليه تكبله بكل ما يمكن من أشكال القيود والأغلال، كيف سيكون الحب في المستقبل وهل ستمكنني التكنولوجيا بأن أرسل هدايا ثلاثية الأبعاد إلى الحبيب، أو ستمكنني من إرسال صور تخصني ثلاثية الأبعاد، أو ربما سيخترعون طريقة جديدة، فهم بالطبع جادون بالسعي نحو كل ما هو جديد ومتطور كما أيضاً نحن جادون بأن نستهلك كل ما يرسلونه لنا، ولكن مهما فعلوا ومهما فعلنا فهل سيكون من السهل تغيير ثقافاتنا وسلوكنا وأن تكون حقيقة الحب واضحة فينا غير منسوخة ولا نتبع فيها أي تقليد من المجتمعات الأخرى، وهل سيكون حبنا بمرحلته وبأغانيه وبكليته عظيماً، وفي النهاية أمنيتي لكم لن تكون كالمعتاد «happy valentine day» بل أمنيتي لكم «كونوا الحب كل يوم».